المحكمة [1]

« كلمة غير قاموسية »

من الغريب ان كتب اللغة التي بين ايدينا لم تذكر كلمة (مَحْكَمَة) بفتح الميم وتخفيف الكاف في مادة (حكم) . مع اننا نستعملها اليوم كثيراً ونريد بها المكان الذي يجتمع فيه القضاة للحكم بين الناس . فهي إذن كلمة دخيلة غير قاموسية .

ولعل الذين أدخلوها في اللغة أرادوا بها تأنيث (المحَكَّم) اسم مكان بمعنى (مكان الحكم) ثم توسعوا بها فاستعملوها في الحكام أنفسهم . وذلك مذ نقول : «حكمت المحكمة على فلان » فقد نسبنا الحكم الى المحلّ والمراد الحالّ مجازاً كقولهم (جرى النهر) اي ماء النهر .

ويحتمل ان لا يكون المراد بالمحكمة مكان الحكم ولا الحكّام أنفسهم . وانما المراد بها المصدر الميمي بمعنى الحكم (كالمضيعة) بمعنى الضياع والمتربة بمعنى الفقر فنكون أخذنا في لغة تخاطبنا من فعل حَكَم مصدر يه : «الحكومة » مريدين بها الهيأة التنفيذية التي تباشر الحكم الإداري في البلاد — و «المحكمة » مريدين بها الهيأة القضائية التي تباشر فصل الخصومات بين الناس .

وقرأ بعض الاخوان بيتاً من الشعر للفرزدق جاءت فيه كلمة (محكمة) فظنها (المحكمة) في اصطلاحنا اليوم . وهو قوله من قصيدة يهجو بها احد بني باهلة :

(أباهلُ أي محكمةٍ أحلّت لكم أخواتكم تحت الثياب)

فظن لأول وهلة ان الفرزدق انما اراد بالمحكمة القضاة والحكام . وقد اتفق ان سياق البيت يروّج ظنه .

ولكننا استبعدنا ان يكون الفرزدق أراد هذا المعنى فراجعنا البيت المذكور في مظان وجوده ثم عثرنا عليه في كتاب (نقائض جرير والفرزدق) المطبوع في اوربا فاذا فيه كلمة (محكمة) مضبوطة بالشكل : بضم ميمها الاولى وفتح الكاف على صيغة اسم المفعول

(١) قرئت في إحدى جلسات المجمع .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

من (أحكم) الأمر اذا اتقنه . ومنه (آيةٌ مُحكَمَة وآيات محكمات) وهي التي لا تحتاج الى تأويل لظهور معناها .

فلاجرم ان يكون هذا المعنى هو المراد من كلمة (محكمة) في شعر الفرزدق . كأنه يقول لباهلة : أيّةُ آيةٍ مُحكَمَة من آيات القرآن أخطأت لكم إتيانَ هذا المنكر .

فلا شاهد إذن في الشعر وتبقى كلمة (المَحْكَمَة) المفتوحة الميم دخيلةً في اللغة لا يعرفها أهل اللسان الأولون .

ويمكن ان يقال : إن (محكَمَة) كما ننطقها اليوم محرفة عن كلمة (مُحْكِمة) بصيغة اسم الفاعل من فعل (أحكم) بمعنى أتقن لأن رجال المحكمة يُحكمون أحكامهم ويتقنونها . فالمُحْكِمة جمع بمعنى (المُحْكِمين) كما ان (المُسْلِمة) بمعنى (المسلمين) . ومنه قول الراجز في خبر فتح مكة :

(وفرّ صفوان وفرّ عكرمة وتبعتنا بالسيوف المسلمة) الخ

ويحتمل ان تكون (مُحكِمة) بصيغة اسم الفاعل مشتقة من (الإحكام) مصدر أحكم الفرَس اذا جعل حَكَمَة اللجام في فمه ليمنع جماحه . وهكذا المحاكم فانها تُحكِم الأشرار والمبطلين وتمنعهم من الظلم والفساد . على حد قول جرير :

(أبني حنيفة أحكِموا سفهاءكم إني أخاف عليكمو أن أغضبا)

والحاصل ان كلمة (مَحكَمَة) من وضع او اشتقاق المولدين . واول من وضعها أراد بها اسم المكان مثل مدرسة ومصبغة — اوالمصدر الميمي مثل (مَضْيَعَة) و (متربة) او ان (مَحكَمَة) محرفة عن (مُحْكِمة) بمعنى متقنة ومُجيدة .

« المغربي »

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net